

الاستشارة الفلسفية.. ماذا تعني؟

د. مصطفى النشار

لعل من أحدث فروع الفلسفة التطبيقية المعاصرة الاستشارة الفلسفية أو العلاج بالفلسفة، ومع ذلك فهي فكرة وكممارسة قديمة قدم الفلسفة ذاتها، وليس أدل على ذلك من تلك المقولة الشهيرة "إن حياة غير مختبرة/ مفحوصة غير جديرة بأن تعاش"، وهي مقولة نقشت ضمن أربع مقولات على واجهة معبد دلفي في أثينا القديمة، وهي تحتنا على مساءلة أمور حياتنا ووضعها تحت الاختبار والاستكشاف، للوصول إلى مستوى جيد للحياة. وتعد الاستشارة الفلسفية حركة جديدة في الفلسفة وإن كانت جذورها تعود إلى سقراط والحوار الديالكتيكي الذي اتبعه مع شباب أثينا لتعليمهم الحق والخير والجمال، والحقيقة إن تاريخ الفلسفة ككل - في اعتقادي - يمكن أن ينظر إليه على أنه تاريخ للعلاج بالفلسفة؛ فالفلاسفة منذ فجر تاريخ الفلسفة مهومون بقضايا الانسان ومشكلاته الفردية والاجتماعية، وكم قدموا أفكاراً ومذاهباً لعلاج تلك المشكلات في كل العصور. كل ما هنالك أن المصطلح اتخذ أبعاداً جديدة معاصرة مع ظهور مفاهيم مثل الاستشارة الفلسفية والعيادة الفلسفية والمستشار الفلسفي والمقاهي الفلسفية.. الخ.

إن خدمات الاستشارات الفلسفية اليوم تحاول تقديم العون للذين يبحثون عن فهم فلسفي لحياتهم، أو لمساعدتهم في حل مشكلات اجتماعية أو حتى عقلية. وربما تقترن بعلم النفس ليقدموا سوياً استشارة متكاملة الأركان، وربما تكون الاستشارة الفلسفية بدلاً من العلاج النفسي أو جزء منه، ولكن في النهاية فالغرض هو البحث عن الخير والحياة الطيبة. وتجاوز بعض المشكلات التي قد تعترضنا في حياتنا وتتعقد داخلنا شيئاً فشيئاً للدرجة التي تتطلب معها طرحها على غيرنا وطلب المساعدة.

إن الاستشارات الفلسفية تساعد في فهم احتياجات المرء الأساسية للتواصل مع الآخرين، لاستكشاف شعوره الذاتي، وفهم ردود أفعاله العاطفية والمعرفية والسلوكية.

كما أنها تعمل على زيادة الوعي الذاتي، والتسلح بالمهارات اللازمة للتعامل مع أنماط الحياة المختلفة وإدارة العلاقات الانسانية وحسن توجيهها، كما أنها تولد لديهم شعورا أكبر بالمعنى والسيطرة والتحكم في مجريات حياتهم ومن ثم الشعور بالرضا والتوازن. إن الأسئلة التي تطرحها الفلسفة منذ نشأتها هي الأسئلة التي تورقنا عادة مثل كيف نفهم الوجود وكيف نحقق السعادة وكيف نحيا حياة طيبة. ولقد تناول الفلاسفة عبر تاريخ الفلسفة الطويل تساؤلات مثل: من أكون؟ ماذا أعرف؟ إلى أين أذهب؟ وكيف أذهب؟ ما الحقيقة؟ ما الواقع؟.. ما الطريق إلى الحياة السعيدة؟.. كيف يتوازن لدى المرء تحقيق مطالب العقل والنفوس مع تحقيق مطالب الجسد؟ ما الصورة المثلى لحياتنا الاجتماعية والسياسية..؟ كيف تتحقق سعادة الفرد في ظل ظروف اجتماعية وسياسية مضطربة؟.. الخ. لقد عالج الفلاسفة تلك الأسئلة وناقشوها مناقشة عقلية مستفيضة ساعدت على تقديم الإجابات المفيدة لحل ما يترتب على هذه الأسئلة وغيرها من مشكلات.

ومع تقدم الزمن والتطورات العلمية والتكنولوجية التي أثرت على حياة الإنسان المعاصر ظهرت الحاجة الماسة لأن تتأسس برامج بحثية وتخصصات فلسفية جديدة مثل العلاج بالفلسفة والاستشارة الفلسفية، ومن خلالها تأسست مراكز وعيادات للاستشارة الفلسفية جنبا إلى جنب مع عيادات ومراكز الاستشارات النفسية والاجتماعية، وقد أثبت العاملون في هذه المراكز والعيادات كفاءة شديدة في علاج الكثير من المشكلات والحالات بمجرد الحوار الذي يساعد المستشار على تغيير نمط فكره السلبي المحبط إلى نمط ايجابي ينظر إلى الحياة نظرة أكثر تفاؤلا و ايجابية.

إن الكثير من المشكلات التي ينظر إليها خطأ على أنها مشكلات نفسية وتوصف على أنها أمراض نفسية إنما هي في واقع الحال مجرد هزات فكرية تمر بالإنسان في لحظات كثيرة من حياته ويكون عاجزا عن إدراك كنهها بشكل صحيح فيتجاهلها أو يتخذ ازاءها قرارات متسرعة تسبب له الكثير من المشاكل في حياته. وكم يكتشف الفرد مدى بساطتها لو أنه عرضها وناقشها مع من ندعوه بالمستشار الفلسفي!، فالعيادات الفلسفية أو مراكز العلاج بالفلسفة ليست أماكن لاستقبال المرضى بل هي مراكز

لاستقبال الأصحاء والتحاور معهم فيما يعانونه من مشكلات تعقد حياتهم وتضيق بها صدورهم، فهؤلاء ليسوا مرضى ولا يحتاجون للذهاب للاستشاريين النفسيين ولا للمصحات النفسية. بقدر حاجتهم للتحاور مع إنسان راجح العقل يمتلك الرؤية الشاملة لحقيقة الانسان وطبيعة مشكلاته و قادر على تحليل المشكلة الفكرية وتفكيكها وردها إلى عناصرها الجزئية البسيطة حتى تتضح أمام صاحبها فيتخلص منها ويتجنب تداعياتها، وهذا هو دور المستشار الفلسفي. إنه لا يعالجك من مرض بل يحميك من الوقوع فيه!!